

مُؤشَّرات العمل النُّحوي بَيْنَ القُدِّماء والمُحدِّثين



د/ إيتسام عبد الكريم رمضان (*)

المقدمة

المشهور بين الناس أنَّ العمل بمغناه اللغوي: بذل الجهد لتحقيق أثر، أو إنتاج شيء^(١)، وعلى هذا فالعامل في النُّحو العربي هو من يقوم بذلك الجهد، وهو المنتج، والمؤثر، أي: السبب والعلة الفاعلة؛ لذا فقد نيط به مهمة تُغيِّر الحركات الإعرابية من رفع، ونصب، وخفض، وجزم على أواخر الكلمات المكوَّنة للتركيب اللغوي.

والعمل النُّحوي هو حصيلة لتشبُّث الكلمة بما يتمُّ معناها^(٢)؛ لأنَّ الكلمة المفردة حين ترد وحدها خارج التركيب تكون مستقلة بالدلالة الوضعية المعجمية غير ذات حاجة إلى مساعد، أو متمم اسماء كانت، أم فعلاً، أم حرفاً، مادامت خارج التركيب، فهي صالحة - غالباً - للارتباط بالآلاف من المفردات؛ لتكوِّن معها كلاماً مفيداً، فإذا دخلت في حيِّز التركيب اللغوي صارت عنصراً نشطاً في مجال محدود من تلك المفردات، وتفرَّغت لها دون

(*) دكتور محاضر/ بقسم اللغة العربية شعبه اللغويات - كليَّة الآداب -
جامعة عمر المختار - ليبيا

سواها، وانشغلت بها وحدها، فيتكوّن بينهما ارتباط، وتفاعل صوتي ومعنوي، ويصير كلُّ جزءٍ في التركيب طالِباً للآخر، ومن هنا يحقُّ لنا أن نقول: لا عملَ نحويّاً بدون اقتضاء تركيبي، وإنّما كان للعامل وظائفه في المعمولات؛ لاقتضائه إيّاها^(٣).

هذا، وقد أدى قول النحاة بفكرة العمل في الدرس النحوي إلى تبليغ الآراء بين القدماء، والمحدثين حول تحديد مؤشّر يوضّح نوع العمل، ويساعد في الكشف عن المعاني التي تضمنتها التراكيب اللغوية المختلفة، فذهب النحاة قديماً إلى أنّ الحركات الإعرابية تكشف عن نوع العمل النحوي، وتفرّق بين المعاني المختلفة، وعارض المحدثون ذلك، فذكر بعضهم أنّ نظام الجملة، وسياق الكلام يغنيان عن الأثر الإعرابي، وذهب بعضهم الآخر إلى أنّ تضافر القرائن اللفظية، والمعنوية كفيل ببيان نوع العمل، وبتوضيح المعاني، وتفصيل الحديث عن آرائهم تلك سيكون في ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الحركات الإعرابية عند النحويين قديماً .
- المبحث الثاني: نظام الجملة، وسياق الكلام يغنيان عن الأثر الإعرابي .
- المبحث الثالث: تضافر القرائن اللفظية، والمعنوية .

المبحث الأول الحركات الإعرابية عند النحويين قديماً

لاشك أن اللغة العربية لغة معربة تعتمد على تتوُّع الحركات داخل بنية الكلمة المفردة، وداخل التركيب، أو الأسلوب النَّحوي، فالحركة جزء من خصائص العربية، وللاثر الإعرابي داخل التركيب دورٌ في التفرقة بين المعاني النَّحوية المختلفة، ولا يخفى علينا موقف ذلك الأعرابي الذي سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(٤) بجر (رسوله)، وكيف فهم منه معنى لا يمكن أن يقصده القارئ المسلم^(٥).

ولا أبالغ هنا_ إذا قلت: إنَّ دلالة الحركات الإعرابية على المعاني الوظيفية للكلمات هي الأساس الذي انبنت عليه نظرية العمل النَّحوي، وقامت عليه دعائم النَّحو العربي كله، فالعلامة الإعرابية هي التي تكشف عن العمل النَّحوي، وتوضِّح الدلالات المختلفة في التركيب اللغوي المتَّحد في الصياغة، والبناء، فإذا قيل مثلاً: (ما أحسن زيد) بتسكين النون من لفظة (أحسن)، والبال من لفظة (زيد) فلا يعلم السامع ما إذا قُصِدَ بهذا التركيب التعجب من حسن زيد، أو الاستفهام عما يحسنه زيد، أو عن أحسن الصفات التي يمتاز بها، أو قُصِدَ نفي الإحسان عنه، لا يفهم السامع أي معنى من هذه المعاني قصدتها المتكلِّم إلاَّ إذا قام بتحريك آخر هاتين اللفظتين بالعلامات الإعرابية على النَّحو الآتي: _

فَيُقَالُ: ما أحسن زيداً ! وما أحسنُ زيد ؟ وما أحسن زيدٌ .

فيدرك السامع أنَّ الأسلوب الأول يدلُّ على التعجب من حسن زيد، والثاني يُقصد منه الاستفهام عن أحسن ما يتَّصف به زيد من الحسن سواء أكان هذا الحسن مادياً، أم معنوياً، أمَّا الأسلوب الثالث فيفهم منه السامع نفي الإحسان عن زيد .

ونتيجة لذلك صرَّح علماء العربية الأوائل بأنَّ الأثر الإعرابي هو الفارق الوحيد بين المعاني النَّحوية به يُعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام^(٦)، وأقرُّوا بأنَّ العمل النَّحوي في أي تركيب لا يمكن أن يُكشَف إلا من خلال الحركة الإعرابية على أواخر الكلمات، وهي حركة أوجدها عامل معين .

والناظر في كتاب سيبويه، وكتاب معاني القرآن للزَّراء وهما أقدم ما وصل إلينا من الكتب في موضوعيهما يجدهما حافلين بكثير من التحليلات اللغوية المبنية على تغيير الأثر الإعرابي، وملاحظة ما يطرأ بتغيُّره من تغيير في المعنى .

فقد علَّق سيبويه على قول الشاعر^(٧):

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لَأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَّاتِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلَ مِنَ الْمَالِ .

بقوله: ((إِنَّمَا رَفَعَ [الْمُتَكَلِّمَ]؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ الْقَلِيلَ مَطْلُوبًا، وَإِنَّمَا كَانَ الْمَطْلُوبُ عِنْدَهُ الْمُلْكُ، وَجَعَلَ الْقَلِيلَ كَافِيًا، وَلَوْ لَمْ يُرَدْ ذَلِكَ وَنَصَبَ فَسَدَ الْمَعْنَى))^(٨)، فصار المعنى: كفايتي قليل من المال، ولم أطلب الملك^(٩).

كما وجَّه قراءة الرفع^(١٠) في قوله تعالى: «لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَتَقْرَأُوا فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى»^(١١) بأنه على معنى الاستئناف؛ لأنه تعالى ذكر الحديث للبيان، ولم يذكره للإقرار^(١٢)، وأضاف السيرافي إلى ذلك أنه لا يصح نصب (تقرؤ) وحمله على (النبيين)؛ لأنه ليس علّة لبيان أطوار الخلق^(١٣).

وفي باب المنصوب على المدح، والذم أورد سيبويه أمثلة كثيرة، ونقل عن شيخه الخليل علّة نصب هذه الأمثلة، فذكر أنه لم يُرَدْ منها الإخبار عن أمرٍ يجهله المخاطب؛ لأنه قد علِمَ من ذلك ما قد علِمَ المتكلم، وإنما أُريدَ الثناء، والتعظيم، فنصب على تقدير فعل لا يستعمل إظهاره^(١٤).

ويذكر الفراء في قوله تعالى: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»^(١٥) أن هناك قراءة لعبد الله ابن مسعود وهي: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمُونَ» بالرفع^(١٦)، ويعلق بأنه لا غرابة في ذلك؛ حيث إنَّ كلاً من الاسمين يصحُّ أن يكون فاعلاً، أو مفعولاً؛ لأنَّ ما نالك فقد نلته، تقول: (نلتُ خيرك، ونالني خيرك)^(١٧).

ويشير إلى القراءتين في قوله تعالى: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ»^(١٨) بنصب (أرجلكم)، وخفضها^(١٩)، ويوجّه قراءة النصب بالعطف على الوجوه، وكأنَّ في الآية تقديمًا، وتأخيرًا، أمّا قراءة الخفض فبالعطف على الرؤوس، فيكون حكم الرجلين في الوضوء هو المسح، وإن كانت السنة الغسل مستندًا في ذلك إلى بعض الآثار من أقوال الصحابة^(٢٠).

هذا قليل من كثير ممّا تضمّنه هذان الكتابان من تحليلات لغوية، وهي تبين بجلاء أنّ سيبويه، وشيخه الخليل، وكذلك الفراء،... وغيرهم كانوا يعطون دوراً كبيراً للعلامة الإعرابية في الكشف عن العمل النحوي، وفي تنوع المعاني، وإيضاحها .

وبناءً على ما تقدّم فإننا نستغرب قول الدكتور مهدي المخزومي بأنّه لم يجذ في كلام الخليل، وسيبويه، أو ما نُقل من أقوال الكسائي ما يشير صراحة إلى أنّ الحركة الإعرابية علم لمعانٍ مختلفة^(٢١).

وما تقدّم من تحليلات لسيبويه، وأستاذه الخليل ينفي هذا الادعاء، أمّا ما وجّه للكسائي فعملٌ أوضح مثال يدلّ على اقتناعه بدلالة حركات الإعراب على المعنى هذه الفتوى التي ذكرها عندما سُئل عن حكم الطلاق في قول الشاعر^(٢٢):

فَإِنْ تَرَفَّقِي يَا هِنْدُ فَالْزَفَقُ أَيْمَنُ وَإِنْ تَخَرَّقِي يَا هِنْدُ فَالْخَرْقُ أَشَامُ
فَأَنْتِ طَلَقٌ وَالطَّلَاقُ عَزِيمَةٌ ثَلَاثًا وَمَنْ يَخَرِّقُ أَعْقُ وَأَظْلَمُ

فأجاب بأنّه إذا رفع المتكلم (ثلاثاً) طَلَّقَتْ واحدة؛ لأنّه قال: (أنت طلاق) ثمّ أخبر أنّ الطلاق التام لا يكون إلاّ بثلاثة، وإن نصّبها طَلَّقَتْ ثلاثاً؛ لأنّ معناه: أنت طالق ثلاثاً، فصار الطلاق بذلك طلاقاً بائناً^(٢٣).

وللعلماء في استخراج الحكم الشرعي من هذه الأبيات نقاش طويل وآراء متعدّدة^(٢٤)، والمهم هنا هو أنّ الكسائي كان يرى أنّ للحركة الإعرابية دوراً في تحديد المعنى، وهذه المسألة هي صورة من صور

المجالس، والمناقشات العلمية، والأدبية التي كانت تدور في ذلك العصر، وهي تقوم في معظمها على استخلاص الفروق الدقيقة للتراكيب اللغوية، وللعلامة الإعرابية حظٌ كبير في ذلك .

حقاً أن علماء اللغة الأوائل لم يُخصّصوا لهذه الدلالة باباً، أو يعتقدوا لها فصلاً، أو يفردوها بحديث، وربما كان سبب ذلك أن هذا الأمر مسلّم به بينهم، أو لأنّ التّأليف مازال في طور النشأة، فلم يتناول مثل هذه الأمور الدقيقة، أمّا بعد ذلك فقد ورد الحديث عنها مفصلاً، ومستقلاً في كتب التراث^(٢٥) ممّا يُظهر إجماع النّحاة على هذه الدّلالة إجماعاً يكاد يكون تامّاً^(٢٦).

وهكذا يتضح لنا مدى المغالطة الواضحة، والتجاهل العجيب الذي ظهر من بعض الباحثين المحدثين أمثال: الأستاذ إبراهيم مصطفى، والدكتور خليل أحمد عماريه، فقد ادّعى الأوّل أنّ النّحاة الأوائل جعلوا الإعراب حكماً لفظياً خالصاً يتبع لفظ العامل وأثره، ولم يروا في علاماته إشارة إلى معنى، ولا أثراً في تصوير المفهوم^(٢٧)، وعاب الثّاني عليهم أنّهم تفنّنوا في تبرير الحركات الإعرابية المختلفة على أواخر الكلمات، والاهتمام بها أكثر من اهتمامهم بالمعنى^(٢٨).

يقولان ذلك في الوقت الذي لا يخلو فيه كتاب من كتب النّحاة المتأخرين من تعريف الإعراب بأنّه: تغيّر آخر الكلمة لتغيّر المعاني المتداولة عليها من فاعلية، ومفعولية، وإضافة،... كما لا تخلو كتب الأوائل من التحليلات اللغوية

التي تبرز اهتمامهم بالمعاني، والأفكار الدقيقة، ويبطل قولهما هذا أن كتاب سيبويه ((يُمَثَّلُ نَضَجُ الْفَهْمِ النَّحْوِيِّ الرَّاشِدِ الَّذِي يُعْنَى بِتَمْيِيزِ التَّرَاكِيِبِ، وَكَشْفِ خَصَائِصِهَا، وَتَوَأُّمِهَا، وَمُلَابَسَاتِهَا))^(٢٩)؛ إذ لم يقتصر سيبويه في كتابه على الجانب التقعيدي، ومستوى الصحة اللغوية، وبيان الصواب، والخطأ، بل تجاوز ذلك إلى مرحلة أوسع وأرحب، اعتنى فيها بالتحليل، والتفسير، وبيان الجوانب الدلالية، والجمالية للتراكيب اللغوية المختلفة .

المبحث الثاني

نظام الجملة، وسياق الكلام يغنيان عن الأثر الإعرابي

يرى بعض المنكرين لأهمية الأثر الإعرابي أن نظام الجملة، وسياق الكلام يغنيان عن الحركة الإعرابية في الكشف عن العمل النحوي، وبيان ارتباط الكلمات بعضها ببعض، فيؤكد الدكتور إبراهيم أنيس بأنه لا علاقة بين الحركة الإعرابية، وبين العمل النحوي، وما ينطوي على ذلك العمل من معانٍ مختلفة، وللبرهنة على صحة مذهبه ذكر بأنه يكفي أن تقرأ خبراً صغيراً في إحدى الصحف على رجلٍ لم يتصل بالنحو أي نوع من الاتصال فسترى أنه يفهم معناه تمام الفهم مهما تعمّدت الخط في إعراب كلماته برفع المنصوب، ونصب المرفوع^(٣٠).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل يستطيع ذلك الرجل العامي الذي يرى الدكتور إبراهيم أنيس أنه قادر على إدراك ما يلقى إليه من أخبار أن يفهم بدقة، ووضوح قول أحدهم - مثلاً -: (أكرم الطالبين الأستاذان)، وهل يستطيع العامي أن يفهم المعاني المختلفة في نحو: (ما أحسن زيداً، وما أحسن

فكر وإبداع

زيد، وما أحسن زيداً لو لم تحرّك أواخرها . طبعاً لا يستطيع ذلك، ولو التجأ أحدهم إلى الإيضاح عن معنى ملتبس بغيره من غير فهمه لنظرية العامل، وأركانها لم يمكنه ذلك .

إنّ ما يوضّح العمل النحوي، ويكشف عن المعاني عند الدكتور إبراهيم أنيس أمران هما (٣١):

الأول: نظام الجملة العربية، والموضع الخاص لكل كلمة من كلماتها، والثاني: ما يحيط بالكلام من ظروف، وملابسات . فالفاعل لا يُعرف بضم آخره، ولا المفعول بنصبه، بل يُعرف كل منهما في غالب الأحيان بمكانه من الجملة الذي حدّدته له أساليب اللغة، فإذا انحرف أحدهما عن موضعه تتبعناه في موضعه الجديد في سهولة ويسر دون لبس، أو إبهام حيث إنّ ظروف الكلام تُوحى به، وترشد إليه، والفاعل في أغلب الكلام العربي يلي الفعل، ويسبق المفعول .

ولا يتقدّم المفعول على الفاعل إلاّ في مواضع عدّ منها الدكتور إبراهيم أنيس: أسلوب الحصر، وطول الكلام مع الفاعل وتوابعه، أو اشتغال الفعل على ضمير يعود على المفعول المتقدّم، أو كان الفاعل كلمة كريمة للنفس البشرية، أو بسبب صغر بنية المفعول، أو مراعاة لنظام الفواصل (٣٢)،... ثمّ قال بعد ذكره لهذه المواضع: ((نَسْتَطِيعُ وَنَحْنُ مُطْمَئِنُّونَ أَنْ نَقَرَّ أَنَّ الْأَسَالِيبَ الْعَرَبِيَّةَ الْقَدِيمَةَ قَدْ عَيَّنَتْ مَكَانَ الْفَاعِلِ، وَمَكَانَ الْمَفْعُولِ بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالاً لِلْبَسِّ، وَبِمَا لَا يَحُوجُّ إِلَى رَفْعِ الْفَاعِلِ، وَنَصَبِ الْمَفْعُولِ... هَذَا إِلَى مَا نَعْهَدُهُ مِنْ أَنَّ لِكُلِّ كَلَامٍ ظُرُوفاً وَمَنَاسِبَاتٍ، وَيَعْرِفُ الْمُتَكَلِّمُ كَمَا يَعْرِفُ السَّامِعُ مَا تَطْلُبُهُ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ تَعَابِيرٍ لُغَوِيَّةٍ،...)) (٣٣).

و الحقيقة أنه لا يمكن لأحد أن ينكر ما لسياق الكلام، وظروفه، وملابساته من دور مهم في توضيح الأغراض، والمقاصد التي يردي إليها المتكلم، ولكن فهم تلك الملابسات، والإلمام بتلك الظروف أمر لا يتيسر لكثير من الناس، وخصوصاً إذا كان الكلام مدوناً، فإنّ بيتاً واحداً من الشعر القديم سيضطرك بغيّة تفسيره أن تعودَ إلى أكثر من كتاب لتعرف صلة الشاعر بما يقوله، وإذا كان ذلك واجباً في تفسير النصوص المعقّدة، أو التي قيلت في مناسبات خاصة، فهل من الواجب أن تُعرف ظروف كل جملة، ومناسبتها لفهم معناها ؟ فأني تعسّف هذا الذي نلجأ إليه، وأي إيجاز هذا الذي نتركه !؟

فإذا كانت الحركة على الحرف الأخير كافية لمعرفة القول، وفهمه أفليس من الأجدر أن نأخذ بها، وبديالاتها بدلاً من معرفة قصة كاملة عن كل جملة (٣٤)؟

هذا وإنّ للجملة العربية مرونةً تسمح للكلمات في كثير من الأحيان بحرية الانتقال من موضع إلى آخر ممّا يقوي الحاجة إلى علامة مميزة لكل ركن من أركانها حيثما حلّ، وأينما انتقل، فليس لها نظام جامد يحتم على الكلمة أن تلزم موقعاً واحداً تقتصر عليه فتُعرف به، ومن ثمّ لا يمكن الاستغناء بنظام الجملة عن الأثر الإعرابي .

إنّ التقديم والتأخير بين أركان الجملة ومتعلقاتها كما يقول عبد القاهر الجرجاني: ((بَابُ كَثِيرِ الْفَوَائِدِ جَمُّ الْمَحَاسِنِ وَاسِعُ التَّصَرُّفِ بَعِيدُ الْغَايَةِ . لَا يَزَالُ يَقْتَرُ لَكَ عَنْ بَدِيعَةٍ، وَيُفْضِي بِكَ إِلَى لَطِيفَةٍ، وَلَا تَزَالُ تَرَى شِعْراً يَرُوقُكَ مَسْمَعُهُ، وَيَلْطَفُ لَدَيْكَ مَوْقِعُهُ، ثُمَّ تَنْظُرُ فَتَجِدُ سَبَبَ أَنْ رَاقَكَ وَلَطَفَ عِنْدَكَ أَنْ قُدِمَ فِيهِ شَيْءٌ، وَحَوْلَ اللَّفْظِ عَنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ)) (٣٥) .

فليس من السهل إذا وضع قواعد محددة_ مثلاً_ لتقدّم المفعول على الفاعل، أو تأخره، وكل ما حدّده النحاة هو المواضع التي يجب فيها التقديم، أو التأخير، وحكموا بالجواز في غير تلك المواضع دون حصر، أو تقييد، بل تجد الدكتور إبراهيم أنيس نفسه بعد أن حصر مواضع تقدّم المفعول على الفاعل في الحالات السابقة يُصرّح بأنّ هذه الحالات إنّما هي في النثر، أمّا في الشعر فقد ذكر أنّ نظام الكلمات فيه يسير حسب هوى الشاعر ووفق فنه، وأنّ الشاعر قد يقدّم المفعول لا حرصاً على قافية، ولا رعاية لوزن، بل رغبة في التحرّر ممّا ألفه الناس، ورغبة في السمو بفنه عن كل ما هو معهود مألوف، وطلباً لكل ما هو جديد متى وافته الفرصة، بل وإن لم توافّه (٣٦).

ومع أنّه من المسلّم به أنّ الشعر هو أهم مجال تظهر الحاجة فيه إلى التصرف في أجزاء الجملة بالتقديم، والتأخير، فإنّه من غير المسلّم أن يصل ذلك إلى حدّ الحرية المطلقة، ومسايرة الهوى، والخروج عن المألوف دون غرض لفظي، أو معنوي؛ لأنّ الشاعر ككل إنسان في المجتمع يحرص كل الحرص على الالتزام بتقاليد لغته، وما تعارف عليه شعراؤها من قبله، ومهما قيل عن ضرورات الشعر، ورخصه فلن تبلغ حدّ الإهمال، أو ترك الحرية لكل شاعر حسب مزاجه . ومع ذلك تبقى في العربية صور كثيرة للتقديم سواء أكانت بين الفعل، وفاعله، ومفعوله، أم بين المسند، والمسند إليه، أم بين ركني الإسناد، ومتعلقاتهما، وهي كثيرة، وأحكامها متعدّدة تجدها مبثوثة في كتب النحو ممّا يجعل الإحاطة بها، ومراعاتها صعبة حتّى على المتخصصين في علوم اللغة العربية، فما بالك بعامة الناس ؟

مما تقدّم يتّضح لنا أنّه لا يمكن القول بأنّ هناك نظاماً محدّداً للجملة يُغني عن الأثر الإعرابي في الكشف عن العمل النحوي، أو سياقاً، وملابسات تساعد في الاستغناء عنه؛ وذلك لأنّ اللغة العربية لا تسمح بالترخّص في الأثر الإعرابي بالقدر الذي تسمح به في الظواهر اللغوية الأخرى^(٣٧).

المبحث الثالث

تضافر القرائن اللفظية والمعنوية

لفظ قرينة في المعاجم اللغوية مؤنث قرين^(٣٨)، ومعناها المصاحب والملازم، وفي الاصطلاح النحوي أمرٌ يشير إلى المقصود، ويدلّ على الشيء من غير الاستعمال فيه، ويؤخذ من لاحق الكلام الدالّ على خصوص المقصود، أو من سابقه^(٣٩).

وأول من حاول قديماً الاهتمام بالقرائن مجتمعة الإمام عبد القاهر الجرجاني صاحب مصطلح التعليق الذي عبّر عنه بقوله: ((مَعْلُومٌ أَنْ لَيْسَ النَّظْمُ سِوَى تَعْلِيْقِ الْكَلِمِ بِغَضِهَا بِبَعْضٍ))^(٤٠)، وذكر في عَرْضِ حديثه عن النظم عدداً من قرائن التعليق كالصيغة، والأداة، والتضام، والرتبة، والمطابقة، والنغمة، ونصّه في ذلك مشهور، ومتداول^(٤١)، وغرض عبد القاهر من ذلك كلّهُ بيان الفائدة التي تترتب على الاستعمال الصحيح لوجوه كل باب نحوي، فأنطلق من مستوى الصحة النحوية إلى مستوى الجمال في العبارة؛ بناءً على أن الصواب النحوي شرط أساسي لتحقيق الجمال في الأسلوب^(٤٢).

وانطلاقاً من مفهوم التعليق عند عبد القاهر قديماً رفض علماء اللغة المحدثون الأخذون بالمنهج الوصفي الاتكالي على الحركة الإعرابية وحدها في الدلالة على العمل النحوي، وما يحمله التركيب من معانٍ .

يقول الدكتور تَمَام حَسَّان: ((الْحَرَكَاتُ بِمُفْرَدِهَا قَاصِرَةٌ عَنْ تَفْسِيرِ الْمَعْنَى النَّحْوِيَّةِ...، وَكَانَ الْإِتِّكَالُ عَلَى الْعَلَامَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا كُبْرَى الدَّوَالِ عَلَى الْمَعْنَى، ثُمَّ إِعْطَاوُهَا مِنَ الْأَهْتِمَامِ مَا دَعَا النَّحَاةَ إِلَى أَنْ يَنْتَوُوا نَحْوَهُمْ كُلُّهُ عَلَيْهَا عَمَلًا يَنْتَسِمُ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ وَعَدَمِ التَّمْحِصِ)) (٤٣).

فقد عاب على النحاة قديماً أنهم ناطوا بعلامات الإعراب وحدها مسؤولية الدلالة على العمل النحوي، وكشف معاني التراكيب اللغوية المختلفة، وتناسوا أن هناك قرائن توزّع اهتمامها بالقسطاس في بيان المعاني، وهي مسؤولة عن أمن اللبس، ووضوح المعنى، ولا تستعمل واحدة منها بمفردها للدلالة على معنى ما، بل تتضافر كلها لتدل على المعنى (٤٤)، و فصل الدكتور تَمَام الحديث عن تلك القرائن في كتابه: (اللغة العربية معناها ومبناها)، فذكر أن هناك قرائن معنوية، وأخرى لفظية تربط بين أجزاء الجملة، وتؤلّف بين عناصرها بحيث لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى، وتنقسم القرائن المعنوية -عنده- إلى :-

قرينة الإسناد، وهي: العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر، وبين الفاعل، أو نائبه والفعل، وقرينة التخصيص ويقصد بها المنصوبات وهي قرينة معنوية كبرى تتفرّع عنها قرائن معنوية أخرى أخص منها، وتضم: قرينة

التعدية، والغائية، والمعنية، والظرفية، والتحديد والتوكيد، والملابسة، والتفسير، والإخراج، والمخالفة .

وقرينة النسبة وهي تقوم على علاقة الربط، والإلحاق بوساطة الإضافة، وحروف الجر، وقرينة التبعية ويقصد بها التوابع الأربعة: النعت، والعطف، والتوكيد، والبدل .

أما القرائن اللفظية فهي العلامة الإعرابية، والرتبة، والصيغة الصرفية، والمطابقة، والربط، والنظام، والأداة، والنغمة .

وكلا النوعين من القرائن (المعنوية، واللفظية) يتعانقان بحيث يتوقف فهم إحداها على فهم الأخرى، فقرينة التعدية مثلاً - قرينة معنوية تتطلب صيغة معينة في الفعل، وهي صيغة المبني للفاعل، والصيغة قرينة لفظية .

وقرينة الملابسة قرينة معنوية تدلُّ على معنى الحال تتطلب صيغة من صيغ المشتقات في الاسم الذي يُعرب حالاً،... وكل هذه القرائن تتطلب علامة إعرابية خاصة في الاسم الذي يؤدي معنى ما تدلُّ عليه، ورتبة خاصة لا يتعداها إلا إن وُجد ما يدل على ذلك^(٤٥) .

وبعد توضيحه للقرائن السابقة أكد أن الكشف عن هذه العلاقات السياقية، أو قرائن

التعليق (المعنوية، واللفظية) هو الغاية من الإعراب^(٤٦) .

وأعطى الدكتور تَمَام مثلاً للإعراب اعتماداً على قرائن التعليق، فقال: إنَّه إذا أُريدَ -مثلاً- إعراب جملة: (ضَرَبَ زَيْدٌ عمراً) وجب النظر إلى كل كلمة من كلمات التركيب لمعرفة علاقتها بما قبلها، وما بعدها من كلمات .

فكلمة (ضَرَبَ) صيغة على وزن (فَعَلَ) تدلُّ على الفعل الماضي من حيث الصورة^(٤٧) ومقارنتها بصيغتي (يَفْعَلُ)، و(أَفْعَلُ) وهى تتدرج تحت قسم من أقسام الكلمة يُسمَّى: الفعل، ومن هنا نبادر إلى القول بأنَّ هذه الكلمة فعل ماضٍ، وإذا نظرنا إلى كلمة (زَيْدٌ) سلاحظ ما يأتي:

- ١- أنه لفظ ينتمي إلى مبنى الاسم (قرينة الصيغة) .
- ٢- أنه مرفوع (قرينة الإعراب) .
- ٣- أنَّ العلاقة بينه وبين الفعل الماضي هي علاقة الإسناد (قرينة التعليق) .
- ٤- أنه ينتمي إلى رتبة التأخير (قرينة الرتبة) .
- ٥- أنَّ تأخره عن الفعل قرينة محفوظة (قرينة الرتبة) .
- ٦- أنَّ الفعل معه مبنى للمعلوم (قرينة الصيغة) .
- ٧- أنَّ الفعل معه مسند إلى المفرد الغائب (وهذا إسناده إلى الاسم الظاهر دائماً)، (قرينة المطابقة) .

ويؤكد أنه بسبب هذه القرائن كلُّها نعرب زيداَ فاعلاً، ثمَّ ينتقل إلى كلمة (عمرو) فيعربها مفعولاً به^(٤٨) معتمداً على القرائن نفسها^(٤٩)، ويقرِّر بعد ذلك أنَّ قرينة التعليق من أصعب هذه القرائن من حيث الكشف عنها؛ لأنَّها

قريئة معنوية تحتاج إلى التأمل الذي يقود إلى كثير من الأوهام، والأفكار الظنية، التي قد لا تتصل اتصالاً مباشراً بالتفكير النحوي^(٥٠).

ثمَّ يستنتج أنه يمكن إعراب كلام لا معنى له من الناحية المعجمية إذا اتَّضح معناه الوظيفي ويقصد المعاني النحوية: كالفاعلية، والمفعولية، والإضافة شريطة أن يكون هذا الكلام مصوراً في صورة عربية من حيث التركيب، والحروف، والنطق، ومثل ذلك بيت من صنعه خال من الدلالة المعجمية، وشرع في إعرابه اعتماداً على قرائن التعليق^(٥١).

وليست هذه أول مرة يصرِّح فيها الدكتور تمام حسَّان بقوله هذا، بل ذكره أيضاً في مؤلَّف آخر له، فقال: ((يكفي أن تعلِّم وظيفة الكلمة في السياق لتدَّعي أنك تعرِّبها إعراباً صحيحاً. وتأتي وظيفة الكلمة من صيغتها، ووضعها لا من دلالتها على مفهومها اللغوي، ولذلك يستطيع المرء أن يُعرِّب كلمات لا معنى لها، ولكنَّها مصنوعة على شروط اللغة العربية، ومرصوفة على غرار تراكيبها...))^(٥٢).

هذا ملخص لنظرية تضافر القرائن كما ذكرها الدكتور تمام مؤكِّداً أن فهم هذه القرائن كافٍ للقضاء على خرافة العمل النحوي، وآثار العوامل في التراكيب اللغوية^(٥٣).

وقد اقتفى أثر الدكتور تمام كثير من الباحثين المحدثين، وداروا في فلكه، ولم يزدوا على ما قاله شيئاً، إلا أنهم عرضوا نظرية تضافر القرائن باختصار تارة، وبتفصيل تارة أخرى^(٥٤).

وانتقد آخرون هذه النظرية، فذكر الدكتور أحمد علم الدين الجندي أنها لا تصلح لتفسير ما يجدُّ من استعمالات في اللغة تخرج عن قواعد النُّحاة، وضوابطهم؛ لأنها مقصورة على تفسير ما وقع، وتبرير ما حدث من النُّحاة السابقين وحدهم، بمعنى أنها ليست تشريعاً للمستقبل، إنما هي لماضي التراث وحده، وأضاف أنَّ الدكتور تَمَّام قد النقط خطوط نظريته من غضون التراث النحوي القديم، ولذلك كان للنُّحاة الأوائل الفضل في أنهم عبَّدوا له الطريق، وأناروا له مسالكه ودروبه (٥٥) .

والواقع أنَّ هذه حقيقة لا يمكن إنكارها؛ لأنَّ النُّحاة القدماء رحمهم الله عندما اتَّفَقوا على أنَّ الحركة الإعرابية هي الفارقُ بين المعاني المختلفة ومؤشَّراتِها لوجود عمل نحوي، لم يغفلوا قرائن التعليق التي أشار إليها عبد القاهر الجرجاني، أو نظرية تضافر القرائن كما أطلق عليها الدكتور تَمَّام حسَّان، بل كانوا مدركين تماماً لأهمية القرائن الأخرى، ودورها في بيان المعاني، والكشف عن العمل النحوي، وإلاً فكيف يحدِّدون المعنى عند غياب العلامة الإعرابية؛ أو كيف يُفرِّقون بين المعاني التي تشرك فيها علامة إعرابية واحدة .

كلُّ ما في الأمر أنَّ العلامة الإعرابية كانت عند النُّحاة أظهر هذه القرائن، وأكثرها اطراداً في بيان المعاني، ثُمَّ يأتي دور القرائن الأخرى في مرحلة لاحقة لدور الحركة الإعرابية فتكون تلك القرائن إمَّا مفصَّلة لدور الحركة الإعرابية عند وجودها، أو مكمَّلة لها عند غيابها .

والمطلع على مؤلفات النحاة الأوائل يجد أنهم لم يهملوا هذه القرائن فحديثهم عنها موزع في الأبواب النحوية المختلفة، يقول ابن جني مثلاً: ((قَدْ تَقُولُ: (ضَرَبَ يَحْيَى بُشْرَى)، فَلَا تَجِدُ هُنَاكَ إِعْرَاباً فَاصِلاً...، قِيلَ: إِذَا اتَّفَقَ مَا هَذَا سَبِيلُهُ مِمَّا يَخْفَى فِي اللَّفْظِ حَالُهُ، أُلْزِمَ الْكَلَامُ مِنْ تَقْدِيمِ الْفَاعِلِ، وَتَأْخِيرِ الْمَفْعُولِ مَا يَقُومُ مَقَامَ بَيَانِ الْإِعْرَابِ، فَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ دِلَالَةٌ أُخْرَى مِنْ قِيلِ الْمَعْنَى وَقَعَ التَّصَرُّفُ فِيهِ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، نَحْوُ: (أَكَلَ يَحْيَى كُمُتْرَى)، لَكَ أَنْ تُقَدِّمَ، وَأَنْ تُؤَخِّرَ كَيْفَ شِئْتَ...؛ لِأَنَّ فِي الْحَالِ بَيَاناً لِمَا تَغْنِي)) (٥٦).

فهذا النص لابن جني يبين بوضوح إدراك النحاة للقرائن النحوية المختلفة؛ لأن ابن جني أشار في ثنايا نصه السابق إلى مجموعة من القرائن، كقرينة الرتبة، وقرينة الحال، أو المقام، (وهو: الموقف اللغوي بكل ما يلابسه من ظروف، وإشارات، وإيماءات)، وقرينة المعنى،... إلى غير ذلك من القرائن، كما أنه يبين بوضوح أيضاً مرتبة قرينة الإعراب ومنزلتها بالنسبة للقرائن الأخرى من حيث دورها في بيان المعنى، والكشف عن العمل النحوي، فكلام ابن جني يشير إلى أن قرينة الإعراب تأتي في المرتبة الأولى (٥٧) أما غيرها من القرائن فهي إما مفصلة، وإما مكملة لدور الحركة الإعرابية .

وردت مثل هذه الإشارات عند ابن يعيش الذي نوّه هو الآخر إلى القرينة اللفظية والحالية بقوله: ((اعْلَمْ أَنَّ الْمُبْتَدَأَ وَالْخَبَرَ جُمْلَةٌ مُفِيدَةٌ تَحْصُلُ الْفَائِدَةُ بِمَجْمُوعِهِمَا، فَالْمُبْتَدَأُ مُعْتَمِدُ الْفَائِدَةِ، وَالْخَبَرُ مَحَلُّ الْفَائِدَةِ، فَلَا بُدَّ مِنْهُمَا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ تَوَجَّدَ قَرِينَةٌ لَفْظِيَّةٌ، أَوْ حَالِيَّةٌ تَغْنِي عَنِ النُّطْقِ بِأَحَدِهِمَا، فَيُخَذَفُ لِدِلَالَتِهَا عَلَيْهِ...)) (٥٨).

وُجِدَت هذه القرائن أيضاً في صورة شروط خاصة لإعراب كلمة ما، فتعريف ابن مالك للحال بقوله^(٥٩):

الْحَالُ وَصْفٌ فَضْلَةٌ مُنْتَصِبٌ مُفْهِمٌ فِي حَالٍ كَفَرْدًا أَذْهَبُ .

يتضمَّن عدداً من القرائن الخاصة لهذه الوظيفة النُّحوية، فكون الحال وصفاً تحديد للصيغة، وهي قرينة لفظية، وكونه فضلة لتحديد للرتبة، والفضلة رتبتهما التأخير، وكونه منتصباً علامة إعرابية، وهي قرينة لفظية أيضاً، وكونه مفهماً في حال ملابسة، وهي قرينة معنوية .

هكذا نستطيع أن نجد عند نحائنا القدماء إشارات إلى القرائن النُّحوية اللفظية، والمعنوية التي اعتمدوا عليها في تحليلهم للتراكيب اللغوية .

صحيحٌ أنَّ هذه القرائن تساعد على التوضيح، وذلك ممَّا لا نزاع فيه، وأمَّا أنَّها تُغني عن القول بفكرة العامل فهذا ممَّا يصعب التسليم به؛ لأنَّ هذه القرائن نفسها لا يمكن فهمها دون إدراك معنى العامل، ونوعه، فقرينة التعدية، والتخصيص مثلاً لا يمكن فهمها إلا بعد معرفة العامل، ومعناه، وما يتطلَّبه من ارتباط بما بعده لمَّا بينهما من تعلق معنوي . وبناءً عليه يتَّضح أنَّ ما استنتجه الدكتور تمام من إمكانية الإعراب بمعزل عن المعاني المعجمية أمرٌ لا يمكن قبوله، بل بعيد كل البعد عن مفهوم التعليق عند الجُرْجاني الذي اعترف الدكتور تمام نفسه أنَّه استوحى نظريته منه^(٦٠) .

فهل كان الجُرْجاني حقاً ينظر إلى تعليق الكلام بعضه ببعض دون النظر إلى المعاني المعجمية ؟

الحقيقة أنَّ الجُرْجَانِي لم يكن ينظر إلى التراكيب اللغوية هذه النظرة الجافة، بل صرَّح بأنه لا سبيل إلى معرفة ترتيب الألفاظ، وتعليق بعضها ببعض إلا بعد معرفة معانيها في النفس^(١١).

ولو سلَّمنا جدلاً بأنَّ هذه العلاقات السياقية، أو قرائن التعليق (المعنوية، واللفظية) التي ذكرها الدكتور تَمَّام حَسَّان تُغني عن الأثر الإعرابي كمؤشِّر لفهم المعاني، والدلالة على العمل النحوي . فهل البحث عنها، وتتبعها أمر سهل ؟

إنَّ الكشف عن المعاني، والتوصُّل إلى تحديد العمل النحوي داخل التراكيب في ضوء القرائن المتشعبة التي اقترحها الدكتور تَمَّام حَسَّان معقَّد جدًّا، وتبدو نظرية العامل النحوي مقارنة بها أمر سهل، ومسألة أبسط، ولنأخذ على سبيل المثال القرينتين الكبيرين: النسبة، والتخصيص، فالأولى تتفرَّع عنه إلى ثلاثين قرينة، والثانية تنقسم إلى تسع قرائن^(١٢). هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ عبد القاهر الجُرْجَانِي الذي شهَد له الدكتور تَمَّام بذكاء المحاولة في مسألة التعليق النحوي، وبسبقه الواضح لهذه الفكرة^(١٣) لم يحكم على النحاة الأئمة بالنظرة السطحية^(١٤)، ولم يجرؤ على وصف العمل النحوي بأنَّه خُرافة، ولم يصرِّح بأنَّ هذه القرائن تُغني عن العوامل النحوية^(١٥)، بل كان يعترف بالعامل، ودوره في تعلُّق الكلمات بعضها ببعض بما يحدثه من أثر إعرابي، ويربط العامل بالمعنى، ووجوه البلاغة فيما يعالج من نصوص^(١٦).

وعليه لا أتصوَّر أنَّ علماء اللغة المحدثين حتَّى هذه الساعة قدَّموا لنا بديلاً مقنعاً نستغني به عن القول بفكرة العامل، وأثره الإعرابي في

التركيب، فنظام الجملة وسياق الكلام، أو تضافر القرائن (المعنوية، واللفظية) لا يمكن أن تقوم بديلاً لفكرة العامل، وأثره في المعمول؛ لعدم تناسقها، وإطرادها، وبلوغها مبلغ القانون العام الذي تُعرف فيه حدود الاطراد، وحدود الاستثناء (١٧).

الخاتمة:

مِمَّا نَقْدَمُ يَتَّضِحُ أَنَّ الحَرَكَةَ الإِعْرَابِيَّةَ هِيَ الحَلُّ المُنَاسِبُ، والدليل الملائم لبيان العمل النَّحْوِيِّ والكشف عن المعاني المختلفة، وهذا الدليل قد ارتبط بالعربية منذ وجودها، وارتضاه العرب دليلاً للفكر، ورمزاً للمعنى، ومساعداً على حرية التصرف في التراكيب، فهي المرشدة إلى المعاني الأساسية في الجملة، وبعد ذلك تبارى العقول على قدر استعدادها لفهم دلالات التراكيب، وأسرار الألفاظ، وإيماءات المواقف، والقرائن، وأي حل يتغاضى عن هذه الحقيقة، ويبتعد عن روح العربية، وطبيعتها سيبقى في حيز الخيال، وفي دائرة الفرض، والتخمين.

الهوامش:

- (١) ابن منظور: لسان العرب، الفيروز آبادي: القاموس المحيط: (ع.م.ل).
- (٢) السهيلي: نتائج الفكر: (٧٤)، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا - منشورات جامعة قاريونس_ ١٣٩٨هـ / ٢٠٠٣ م.
- (٣) ابن يعيش: شرح المِفْصَل: (٢٩٥/٤ - ٢٩٦)، قدّم له، ووضع هوامشه، وفهارسه: الدكتور إميل بديع يعقوب - منشورات محمد علي

بيضون_دار الكتب العلمية_بيروت، لبنان_ الطبعة الأولى_ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م .

(٤) التوبة: ٣ .

(٥) ابن الأنباري: نزهة الألباء: (٥)، تحقيق: الدكتور عطية عامر_ دار المعارف للطباعة والنشر_سوسة، تونس_ الطبعة الثانية_ ١٩٩٨ م .

(٦) ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة: (٦٦، ٧٧) تحقيق: الدكتور مصطفى الشويمي_ مؤسسة بدران للطباعة، والنشر_بيروت، لبنان_ ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣ م .

٠٠ م

(٧) البيت من البحر الطويل لامرئ القيس يقول فيه: لو أنني أسعى لحياة عادية لكفاني قليل من المال، ولكنني أسعى في طلب الملك، والسيادة لذلك يتوجب عليّ الجد، والسعي المستمر، وبعد هذا البيت قوله:

ولكنما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي .

(ديوانه: (١٣٩)، اعتنى به، وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي_ دار المعرفة_ بيروت، لبنان_ الطبعة الثالثة_ ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦ م) .

(٨) سيبويه: الكتاب: (١/٧٩)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون_ دار الجيل_ بيروت_ الطبعة الأولى_ (بدون

تاريخ) .

(٩) النحاس: كتاب شرح أبيات سيبويه: (٤٦)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد_ مكتبة النهضة العربية_ الطبعة الأولى_ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م .

(١٠) روى أبو زيد النخوي عن عاصم «لنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِّرَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ بِالنَّصَبِ فِي (نقّر)، فنذكر معربو القرآن ومفسروه أنّ الصواب الرفع لا غير؛ لأنّ الله لم يخلق الأنام ليقرّ في الأرحام، وإنّما خلقهم ليدلهم على الرشد والصلاح .

ينظر: النحاس: إعراب القرآن: (٨٧/٣)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد_عالم الكتاب، ومكتبة النهضة العربية_بيروت_الطبعة الثالثة_١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

_ ابن خالويه: مُختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: (٩٤)، عني بنشره: ج. برجشتر آسر_المطبعة الرحمانية بمصر_١٩٣٤م .

_ ابن الأنباري: البيان في غريب إعراب القرآن: (١٣٩/٢)، ضبط وتعليق: بركات يوسف هبُود_دار الأرقم ابن أبي الأرقم للطباعة، والنشر، والتوزيع_بيروت، لبنان_١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

_ أبو حيَّان: البحر المحيط: (٣٥٢/٦)، دار إحياء التراث العربي_بيروت، لبنان_الطبعة الثانية_١٤١١هـ/١٩٩٠م .

(١١) الحج: (٥) .

(١٢) سيبويه: الكتاب: (٥٣/٣)، مصدر سابق .

(١٣) نفسه: (٥٣/٣) . (تعليقات السيرافي في الهامش) .

(١٤) الكتاب: (٦٥/٢-٦٦)، مصدر سابق .

(١٥) البقرة: ١٢٤ .

(١٦) ابن خالويه: مختصر في شواذ القرآن: (٩)، مصدر سابق .

(١٧) الفراء: معاني القرآن: (٧٦/١)، الجزء الأول تحقيق: أحمد يوسف

نجاتي، ومحمد علي النجَّار، والجزء الثاني تحقيق: محمد علي

النجَّار، والجزء الثالث تحقيق: عبد الفتَّاح إسماعيل شلبي _دار

السرور_١٩٥٥م .

(١٨) المائدة: ٦ .

(١٩) قرأ بنصب اللام في (أرجلكم): ابن عامر، وعاصم، ونافع، والكسائي، ويعقوب، وبخفضها: ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وحمزة، وخلف. (ابن الجزري: النشر في القراءات العشر: (١٩١/٢)، قدّم له: الأستاذ علي محمد الضبّاع، وخرّج آياته: الشيخ زكريا عميرات_منشورات محمد علي بيضون_ دار الكتب العلمية_بيروت، لبنان_ الطبعة الأولى_١٤١٨هـ/ ١٩٩٨ م .

(٢٠) (الفراء: معاني القرآن: (٣٠٢/١)، مصدر سابق .

(٢١) د. مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في النحو: (٢٤٤)، دار

الرائد العربي_بيروت، لبنان_ الطبعة الثالثة_١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م .

(٢٢) البيت من البحر الطويل مجهول القائل، وممراد الشاعر أن يقول: يا هذو إن تتلطّفي بي، وتعامليني حسناً فهذا هو الخير الذي أطلبه، وإن شئت مخالفتي، وتقطع مودتي فهو الشر الذي لا أريده، وعندئذ سأعزم على طلاقك ثلاث مرات طلاقاً لا عودة عنه، والبادئ أظلم .

(الزجاجي: مجالس العلماء: (٢٥٩)، تحقيق: عبد السلام محمد

هارون_ مطبعة المدني_ الطبعة الثانية_ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م ، ابن

يعيش: شرح المفصل: (١٢/١)، مصدر سابق) .

(٢٣) ابن هشام: مغني اللبيب: (١١٥/١)، قدّم له، ووضع

حواشيه، وفهارسه: حسن حمد، أشرف عليه وراجعته: إميل بديع

يعقوب_منشورات محمد علي بيضون_ دار الكتب العلمية

بيروت، لبنان_ الطبعة الأولى_ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨ م ، السيوطي: الأشباه

والنظائر: (٩٢/٣)، وضع حواشيه: غريد الشيخ_منشورات محمد علي

بيضون_ دار الكتب العلمية_بيروت، لبنان_ الطبعة الثانية_ ١٤٢٨هـ/

٢٠٠٧ م .

(٢٤) البغدادي: خزانة الأدب: (٣/٤٥٩-٤٧١)، تحقيق، وشرح: عبد السلام محمد هارون_ مكتبة الخانجي للطباعة، والنشر، والتوزيع_ الطبعة الثالثة _١٤٠٩هـ/١٩٨٩ م .

(٢٥) ينظر على سبيل المثال لا الحصر:

_ ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن: (١١)، تحقيق السيد أحمد صقر_ دار إحياء الكتب العربية_ عيسى البابي الحلبي وشركاه_ ١٣٧٣هـ/١٩٥٤ م.

_ الزجّاجي: الإيضاح في علل النحو: (٧٠)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك_ دار النفائس_ بيروت_ الطبعة الثانية_ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣ م .

_ ابن جني: الخصائص: (١/٣٥)، تحقيق: محمد علي النجار_ دار الكتب المصرية_ ١٣٧١هـ/١٩٥٢ م .

_ ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة: (٦٦، ٧٧، ١٩٠) ، مصدر سابق.

(٢٦) ورأي قُطْرِب في إنكار هذه الدلالة من قبيل النادر الذي قد لا يستحق الذكر، ولكن الأمانة العلمية عند النحاة حملتهم على أن يحتفظوا له برأيه فذكرت بعض المصادر النحوية أنه رفض ما قرّره النحاة وعلى رأسهم أستاذه سيبويه من أن تكون الحركات الإعرابية ناتجة عن تأثير العوامل، وأنكر أن يكون للإعراب قيمة دلالية، وصرّح بأن أمر الحركات يتلخّص في أنها تُسهّل النطق على المتكلّم عند وصل الكلام .
ينظر رأيه في :

_ الزجّاجي: الإيضاح في علل النحو: (٧٠) ، مصدر سابق .

- _ العُكْبَرِي: مسائل خلافية في النحو: (٨٩)، حققه وقدم له: محمد خير الحلواني_ دار المأمون للتراث _دمشق_ الطبعة الأولى_ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م .
- (٢٧) الأستاذ/ إبراهيم مصطفى: إحياء النحو: (٤١)، دار الآفاق العربية_ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م .
- (٢٨) د. خليل أحمد عميرة: في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق: (٣٣)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع_ جدة_ الطبعة الأولى_ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ م .
- (٢٩) د. محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة مدخل لدراسة النحو الدلالي: (٣١)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع _القاهرة_ ٢٠٠٦ م .
- (٣٠) د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة: (٢٤٢)، مكتبة الأنجلو المصرية_ القاهرة_ الطبعة السابعة_ ١٩٨٥ م .
- (٣١) نفسه: (٢٤٣) .
- (٣٢) نفسه: (٢٤٣-٢٤٦) .
- (٣٣) نفسه: (٢٤٦) .
- (٣٤) د. مازن المبارك: نحو وعي لغوي: (٩٢)، مؤسسة الرسالة_ بيروت_ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م .
- (٣٥) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: (٨٥-٨٦) شرحه، وعلق عليه، ووضع فهارسه: الدكتور محمد التتجي_ دار الكتاب العربي_ بيروت، لبنان_ الطبعة الأولى_ ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥ م .
- (٣٦) د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة: (٢٤٤، ٣٤٢-٣٤٤)، مصدر سابق .
- (٣٧) د. تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها: (٢٣٣-٢٤٠)، عالم الكتب_ الطبعة الخامسة_ ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م ، البيان في روائع القرآن: (٢٢٩/١-٢٥٨)، عالم الكتب_ الطبعة الثانية_ ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠ م .

- (٣٨) ابن منظور: لسان العرب، الفيروز آبادي: القاموس المحيط، (ق. ر. ن) .
- (٣٩) الشريف الجرجاني: التعريفات: (١٥٢)، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي، وأولاده بمصر_ ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ م .
- (٤٠) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: (١١)، مصدر سابق .
- (٤١) نفسه: (٦٩_ ٧٠) .
- (٤٢) د. محمد حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: (١١٣_ ١١٤)، دار الفكر العربي_ القاهرة_ ١٩٨٣ م .
- (٤٣) د. تَمَام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها: (٢٣١_ ٢٣٢)، مصدر سابق .
- (٤٤) نفسه: (٢٣٢) .
- (٤٥) نفسه: (١٩١_ ٢٣٠) .
- (٤٦) نفسه: (١٨١) .
- (٤٧) ويبدو أن الدكتور تَمَام قد غاب عنه أن صيغة فَعَلَ تدلُّ على الاسم أيضاً، وليست مقصورة على الفعل الماضي فحسب ففي نحو: (وجدتُ كَرَمَ حاتم فوق كل كَرَمٍ)، (وإنَّ طَلَبَ العلم شيءٌ عظيمٌ) وقعت صيغة (فَعَلَ) اسماً في المثالين فهي في المثال الأول مفعول به، وفي الثاني اسم لإنَّ، وليست فعلاً ماضياً .
- (٤٨) والنحاة قديماً قد أوضحوا إعراب هذه الجملة معتمدين على ما بين الفعل، والفاعل، والمفعول من ارتباط معنوي، فذكروا أن (زيدٌ) هو الفاعل؛ لأنه من قام بالفعل، وأن (عمرأ) مفعول به؛ لوقوع الفعل عليه، فالفعل هو الذي عمل الرفع، وهو نفسه الذي عمل النصب، وهذا أسهل بكثير مما جاء به الدكتور تَمَام .

- (٤٩) د. تَمَام حَسَّان: اللغة العربية معناها ومبناها: (١٨١-١٨٢)، مصدر سابق
- (٥٠) نفسه: (١٨٢) .
- (٥١) نفسه: (١٨٢-١٨٣) .
- (٥٢) د. تَمَام حَسَّان: مناهج البحث في اللغة: (١٩٣) ، مكتبة الأنجلو المصرية_ القاهرة_ ١٩٩٠ م .
- (٥٣) د. تَمَام حَسَّان: اللغة العربية معناها ومبناها: (١٨٩)، مصدر سابق .
- (٥٤) د. محمد حماسة عبد اللطيف: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث: (٣٠٩-٣١٧)، مصدر سابق، د. محمد إبراهيم عبادة: الجملة العربية دراسة لغوية نحوية: (١٦-٢٠)، منشأة المعارف بالإسكندرية_ ١٩٨٨ م، د. مصطفى عمر حميدة: نظام الارتباط والربط: (١٥٣-١٥٥)، رسالة دكتوراه_ كلية الآداب_ جامعة الإسكندرية_ ١٩٩٥ م .
- (٥٥) د. أحمد علم الدين الجندي: مقال: في الإعراب ومشكلاته، مجلة مجمع اللغة العربية: (ج٤٦/١٤٣)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ذو الحجة/ ١٤٠٠هـ، نوفمبر/ ١٩٨٠ م .
- (٥٦) الخصائص: (٣٥/١) ، مصدر سابق.
- (٥٧) لأنَّ مَنْ يرجع إلى جميع الأمثلة التي ساقها ابن جني في هذا النص يجد أنَّها خلت من الإعراب الظاهر، فكانت القرائن الأخرى بديلة عنه، زِدْ على ذلك أنَّ نصّه هذا جاء عقب الإطلاق الواضح لدور الإعراب في بيان المعاني، وتعريفه إيَّاه بأنّه: الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ لذلك فإنَّ تفصيله للقرائن السابقة يُعدُّ بمثابة استدراك على هذا الإطلاق في بيان دور الإعراب .
- (٥٨) ابن يعيش: شرح المُفَصَّل: (٢٣٩/١)، مصدر سابق .

(٥٩) ابن مالك: الألفية: (٣٢)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده بمصر - ١٣٥٨هـ/١٩٤٠ م .

(٦٠) د. تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها: (١٨٦، ١٨٨، ١٨٩)، مصدر سابق .

(٦١) ونصّه في ذلك واضح لا مجال فيه للشك؛ إذ يُصرّح بأنّ: ((اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأنّ الحكم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرّد أصواتاً، وأصداً حُرُوف، لما وقع في ضمير، ولا هجس في خاطر، أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل...)). . دلّال الإعجاز: (٥٤)، مصدر سابق .

(٦٢) د. تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها: (٢٠٣)، مصدر سابق .

(٦٣) نفسه: (١٨٦، ١٨) .

(٦٤) نفسه: (٢٠٧) .

(٦٥) نفسه: (١٨٩) .

(٦٦) انظر إليه وهو يوضّح المعنى، ويبيّن ما في الأسلوب من حسن وطلاوة عند تعليقه على قول إبراهيم ابن العباس: قَلَوْ إِذْ نَبَا دَهْرٌ وَأُنْكَرَ صَاحِبٌ
وَسَلَّطَ أَعْدَاءَ وَغَابَ نَصِيرُ

تَكُونُ عَنِ الْأَهْوَاِ دَارِي بِنَجْوَةٍ وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ
وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَ هَذَا مُحَمَّدًا لِأَفْضَلِ مَا يُرْجَى أَخْ وَوَزِيرُ

معلقاً بقوله: ((إنك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة، ومن الحسن والجلالة، ثمّ تتفقد السبب في ذلك فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف (إذ نبأ) على عامله الذي هو (تكون) ...)). .

- دلائل الإعجاز: (٧٣)، مصدر سابق .
 (٦٧) د. أحمد علم الدين الجندي: مقال: (في الإعراب ومشكلاته)، مجلة مجمع اللغة العربية: (ج٤٦/١٤٤) .

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .
 ثانياً: الكتب المطبوعة :
 إبراهيم أنيس: (الدكتور) .
 ١- من أسرار اللغة_مكتبة الأنجلو المصرية_القاهرة_الطبعة السابعة_١٩٨٥ م .
 إبراهيم مصطفى: (الأستاذ) .
 ٢- إحياء النحو_دار الآفاق العربية_١٤٢٣هـ/٢٠٠٣ م .
 امرؤ القيس: (حنّج بن حجر بن حارث الملقّب بامرئ القيس(ت:١٣٠هـ)).
 ٣- ديوان امرئ القيس_اعتنى به، وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي_دار المعرفة_بيروت، لبنان_الطبعة الثالثة_١٤٢٧هـ/٢٠٠٦ م .
 ابن الأتباري: (كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء(ت:٥٧٧هـ)) .
 ٤- البيان في غريب إعراب القرآن_ضبط وتعليق: بركات يوسف هبؤد_دار الأرقم ابن أبي الأرقم للطباعة، والنشر، والتوزيع_بيروت، لبنان_١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م .
 ٥- نزهة الألباء في طبقات الأدباء_تحقيق: الدكتور عطية عامر_دار المعارف للطباعة والنشر_سوسة، تونس_الطبعة الثانية_١٩٩٨ م .

- البغدادي: (عبد القادر بن عمر) (ت: ١٠٩٣هـ) .
- ٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية_تحقيق، وشرح: عبد السلام محمد هارون_مكتبة الخانجي للطباعة، والنشر، والتوزيع_الطبعة الثالثة_١٤٠٩هـ/١٩٨٩ م .
- تمّام حسن: (الدكتور) .
- ٧- البيان في روائع القرآن_عالم الكتب_الطبعة الثانية_١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م .
- ٨- اللغة العربية معناها ومبناها_عالم الكتب_الطبعة الخامسة_١٤٢٧هـ/٢٠٠٦ م .
- ٩- مناهج البحث في اللغة_مكتبة الأنجلو المصرية_القاهرة_١٩٩٠ م .
- ابن الجُزري: (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد) (ت: ٨٣٣هـ) .
- ١٠- النشر في القراءات العشر_قدّم له: الأستاذ علي محمد الضبّاع، وخرّج آياته: الشيخ زكريا عميرات_منشورات محمد علي بيضون_دار الكتب العلمية_بيروت، لبنان- الطبعة الأولى_١٤١٨هـ/١٩٩٨ م .
- ابن جنّي: (أبو الفتح عثمان بن جني) (ت: ٣٩٢هـ) .
- ١١- الخصائص_تحقيق: محمد علي النجّار_دار الكتب المصرية_١٣٧١هـ/١٩٥٢ م .
- أبو حيّان: (أثير الدين محمد بن يوسف) (ت: ٧٤٥هـ) .
- ١٢- البحر المحيط_دار إحياء التراث العربي_بيروت، لبنان_الطبعة الثانية_١٤١١هـ/١٩٩٠ م .

ابن خالويه: (أبو عبد الله الحسين ابن أحمد) (ت: ٣٧٠هـ) .

١٣- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع عني بنشر: ج. برجشتر آسر_المطبعة الرحمانية بمصر_ ١٩٣٤ م .

خليل أحمد عمايرة: (الدكتور) .

١٤- العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل اللغوي_جامعة اليرموك_(بدون تاريخ) .

١٥- في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق_عالم المعرفة للنشر والتوزيع_جدة_الطبعة الأولى_١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م .

الزجاجي: (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) (ت: ٣٣٧هـ) .

١٦- الإيضاح في علل النحو_تحقيق: الدكتور مازن المبارك_دار النفائس_بيروت_الطبعة الثانية_١٣٩٣هـ/١٩٧٣ م .

١٧- مجالس العلماء_تحقيق: عبد السلام محمد هارون_مطبعة المدني_الطبعة الثانية_١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م .

السهيلى: (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) (ت: ٥٨١هـ) .

١٨- نتائج الفكر_تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا_منشورات جامعة قاريونس_١٣٩٨هـ/١٩٧٨ م .

سيبويه: (أبو بشر عمرو بن عثمان) (ت: ١٨٠هـ) .

١٩- الكتاب_تحقيق: عبد السلام محمد هارون_دار الجيل_بيروت_الطبعة الأولى_(بدون تاريخ) .

السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن) (ت: ٩١١هـ) .

٢٠- الأشباه والنظائر في النحو_وضع حواشيه: غريد الشيخ_منشورات محمد علي ببيضون_دار الكتب العلمية_بيروت، لبنان_الطبعة الثانية_١٤٢٨هـ/٢٠٠٧ م .

- الشريف الجرجاني: (أبو الحسن علي بن محمد) (ت: ٨١٦هـ) .
- ٢١- التعريفات معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والمتكلمين والنحاة والصرفيين والمفسرين وغيرهم_مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي، وأولاده بمصر_١٣٥٧هـ/١٩٣٨ م .
- عبد القاهر الجرجاني: (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن) (ت: ٤٧١هـ) .
- ٢٢- دلائل الإعجاز_شرحه، وعلّق عليه، ووضع فهارسه: الدكتور محمد التتجي_دار الكتاب العربي_بيروت، لبنان_الطبعة الأولى_١٤٢٥هـ/٢٠٠٥ م .
- العكبري: (مُحب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله) (ت: ٦١٦هـ) .
- ٢٣- مسائل خلافية في النحو_حقّقه وقَدّم له: محمد خير الحلواني_دار المأمون للتراث_دمشق_الطبعة الأولى_١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م .
- ابن فارس: (أبو الحسين أحمد بن فارس) (ت: ٣٩٥هـ) .
- ٢٤- الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها_تحقيق: الدكتور مصطفى الشويمي_مؤسسة بدران للطباعة، والنشر_بيروت، لبنان_١٣٨٢هـ/١٩٦٣ م .
- الفرّاء: (أبو زكريا يحيى بن زياد) (ت: ٢٠٧هـ) .
- ٢٥- معاني القرآن_الجزء الأول تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجّار، والجزء الثاني تحقيق: محمد علي النجّار، والجزء الثالث تحقيق: عبد الفتّاح إسماعيل شلبي_دار السرور_١٩٥٥ م .

- الفيروز آبادي: (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)) .
- ٢٦- القاموس المحيط_ دار الجيل_ بيروت، لبنان_ (بدون تاريخ) .
- ابن قتيبة: (أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ)) .
- ٢٧- تأويل مشكل إعراب القرآن_ تحقيق السيد أحمد صقر_ دار إحياء الكتب العربية_
- عيسى البابي الحلبي وشركاه_ ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤ م .
- مازن المبارك: (الدكتور) .
- ٢٨- نحو وعي لغوي_ مؤسسة الرسالة_ بيروت_ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م .
- ابن مالك: (جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٦٧٢هـ)) .
- ٢٩- الألفية في النحو والصرف_ مطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده بمصر- ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠ م .
- محمد إبراهيم عبادة: (الدكتور) .
- ٣٠- الجملة العربية دراسة لغوية نحوية_ منشأة المعارف بالإسكندرية_ ١٩٨٨ م .
- محمد حماسة عبد اللطيف: (الدكتور) .
- ٣١- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث_ دار الفكر العربي_ القاهرة_ ١٩٨٣ م .
- ٣٢- النحو والدلالة مدخل لدراسة النحو العربي الدلالي_ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع_ القاهرة_ ٢٠٠٦ م .
- ابن منظور: (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ)) .
- ٣٣- لسان العرب_ دار صادر_ بيروت_ الطبعة الأولى_ ٢٠٠٠ م .

مهدي المخزومي: (الدكتور) .

٣٤- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو_ دار الرائد

العربي_ بيروت، لبنان_ الطبعة الثالثة_ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م .

النحاس: (أبو جعفر أحمد بن محمد(ت: ٣٣٨هـ)) .

٣٥- إعراب القرآن_ تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد_ عالم

الكتاب، ومكتبة النهضة العربية_ بيروت_ الطبعة

الثالثة_ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨ م .

٣٦- شرح أبيات سبويه_ تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد_ مكتبة

النهضة العربية_ الطبعة الأولى- ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م .

ابن هشام: (جمال الدين أبو محمد عبد الله ابن يوسف الأنصاري

(ت: ٥٧٦١هـ)) .

٣٧- مغني اللبيب عن كتب الأعراب_ قَدَّم له، ووضع

حواشيه، وفهارسه: حسن حمد، أشرف عليه وراجعته: إميل بديع

يعقوب_ منشورات محمد علي بيضون_ دار الكتب العلمية

بيروت، لبنان_ الطبعة الأولى_ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨ م .

ابن يعيش: (موفق الدين أبو البقاء يعيـش بن يعيـش النحوي(ت: ٦٤٣هـ)) .

٣٨- شرح المُفَصَّل_ قَدَّم له، ووضع هو أمشه، وفهارسه: الدكتور إميل بديع

يعقوب_ منشورات محمد علي بيضون_ دار الكتب

العلمية_ بيروت، لبنان_ الطبعة الأولى_ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م .

ثالثاً: الرسائل العلمية:

مصطفى عمر حميدة: (الدكتور) .

— نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية _ (رسالة

دكتوراه) _ كلية الآداب _ جامعة الإسكندرية _ ١٩٩٥ م .

رابعاً: المجلات والدوريات:

— مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

الجزء السادس والأربعون: ذو الحجة/ ١٤٠٠هـ، نوفمبر/ ١٩٨٠م، الهيئة

العامة لشؤون المطابع الأميرية .

• مقال بعنوان: (في الإعراب ومشكلاته) للدكتور أحمد علم الدين

الجندي، من ص: ١٢٥ إلى ١٤٦ .

ملخص البحث

يؤكد هذا البحث أنَّ اللغات في العالم الحي أداة تعبيرية للتواصل بين أصحابها؛ لأنَّها تنقل المقاصد، والأفكار، والعواطف، والتجارب بوسائل التعبير المختلفة؛ إذ يُلاحظ وجود علاقة حميمة بين الممارسين للغة معينة يمكن تسميتها إن جاز التعبير بالانفعال اللغوي، فالعربي مثلاً إذا كان في بلد أعجمي وطرقت أسماعه عبارات ذات أصداء عربية نراه يندفع بحماسة وتودُّد إلى مصدر الصوت، فيستجيب لذلك الانفعال تلقائياً، كذلك الحال بالنسبة لأصحاب اللهجة الواحدة حين يلتقون في بلد غير وطنهم الأم .

تلك حقيقة واقعة ومقرَّرة، ولكي تكون لغة العرب متميِّزة لم نكتفِ بترابط الانفعالات، والمشاعر بين أفرادها المتكلمين بها، بل أقامت بين عناصرها اللفظية علاقات حميمة أيضاً، هذه العلاقات تظهر في شكل تأثر حيوي متبادل بين الكلمات يُعرف بالعمل النَّحوي .

لقد لاحظ أوائل النُّحاة ألوان ذلك التأثر، وتتبعوا أمواجه، ومنعطفاته، ومصادره، فبيَّن لهم أنَّ التركيب النَّحوي: تشكيل متفاعل من الكلمات يؤثِّر بعضها في بعض قبل أن يؤثِّر في المتلقِّي، وهذا التأثر الحاصل بين الكلمات له مؤشرات تدلُّ على حدوثه، وقد تباينت الآراء بين القدماء والمحدثين حول تحديد تلك المؤشَّرات، فشُغل هذا البحث بتتبُّعها ومناقشتها؛ سعياً للوصول إلى أرجح الآراء وأقواها .